ثنية الوداع فى المدينة المنورة

الموقع والتاريخ

د. أحمد محمد محمد شعبان

الباحث في مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المدينة المنورة

١٤٤٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة عامة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

شهدت المدينة المنورة خلال العقود الثلاثة الأخيرة حراكاً ثقافياً نَشِطاً تركز في مجمله على مكانتها، وتاريخها، ومعالمها التي لا تزال شاهد عيان يحكي للأجيال حياة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته فيها.

وقد أسهم الكُتّاب والباحثون في تحقيق المخطوطات، وإصدار عدد من الكتب والمجلات الخاصة بتاريخها ومعالمها، وكان لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة الذي أسس عام ١٤١٨هـ الدور الأكبر في هذا النشاط المتميز.

وفي الآونة الأخيرة شُكلت هيئة السياحة والآثار، وسارعت إلى رصد المعالم التي قاومت معاول الهدم والتخريب حتى تلك الفترة، وطوقتها بسياج حديدي بهدف حمايتها من أيدي العابثين، وإعادة تأهيلها للزوار والسائحين.

وتزامن ذلك مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، التي ضمت مجموعات من المهتمين والمحبين وعدداً من الباحثين، ونشطت هذه المجموعات ولا تزال تنشط حتى اليوم في القيام بدور التعريف بهذه المعالم، وحكاية تاريخها، وارتباطها بحياة النبي الأكرم صلوات ربي وسلامه عليه.

وبما أن كثيراً ممن يلعب هذا الدور محب أو مهتم غير متخصص؛ فقد شاب حديثهم عدم الدقة، ولم يفرق البعض منهم بين ما هو معروف العين من تلك المعالم وما هو معروف الجهة مجهول العين منها[1]، كما لم يفرق البعض الآخر بين ما هو قطعي ثابت، أو ظني

---

(١) جمعني مجلس مع أحد الإخوة المهتمين بمعالم السيرة النبوية، وأراني كتاباً له قدمه كدليل سياحي الكتروني لزوار المدينة المنورة، وما أن فتحت الكتاب حتى وقع نظري على بستان أوس بن قيظي المنافق الذي مر به النبي صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى غزوة أحد، وفجعت من هول الجرأة التي أقدم عليها الباحث، فقد عين جهة البستان، الذي سماه (بستان الشوط) وحدد مكانه، بل ووضع (باركوداً) عليه للوصول إليه، فقلت له يا دكتور: من أين لك هذا التحديد، ومن سبقك إليه؟ فكان جوابه عجباً. قال: هذه منازل بني حارثة، وأنا اجتهدت في تحديد المكان. فقلت له: إن تعيين مكان محدد يحتاج إلى نقل، لأن منازل بني حارثة واسعة، ولهم بساتين كثيرة، فما الذي جعلك تحدد هذا المكان؟ فقال: هو اجتهاد مني، فقلت له: هذا ليس اجتهاداً، بل اجتراء، لأن الاجتهاد مبني على أدلة. لكنني فوجئت من إصراره على رأيه، واستمراره في نهجه، غفر الله لي وله.

راجح، أو مشكوك مرجوح، فصاروا أشبه بمن يتكلم في الحديث الشريف ولا يحسن أن يفرق بين الصحيح والحسن والضعيف.

بل إن اندفاع البعض ومحبتهم للظهور والشهرة حيناً، أو للتكسب حيناً آخر؛ دفعهم إلى الإغراب أو الوضع في المعالم، تماماً كالأسباب التي دفعت البعض للوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث.

وكان مما حدا بي إلى كتابة هذا البحث هو أنه طُلب مني أن أكتب مقالاً قصيراً عن ثنية الوداع، فساقني البحث إلى عدد من المصادر، القديمة والمعاصرة، وسمعت عدداً من مقاطع الفيديو التي تحدثت عنها، فرأيت تبايناً في الطرح، واختلافاً شديداً في تحديد الموقع، واجتراء من البعض على اختراع ثنية لم يسبقه إلى القول فيها أحد، حتى لتخال أنك أمام ناقة تائهة كل يريد أن ينيخها في المكان الذي يحلو له. فتشعب بي البحث وتوسع وتحولت الوجهة من مقال في جريدة إلى بحث في مجلة، والله المستعان أولاً وآخراً.

التسمية واشتقاقها:

الثَّنِيَّةُ: هي الطريق في الجبل، كالعقبة فيه، وقيل: هي الطّريق العالي فيه، وقيل: أعلى المسيل في رأسه[١].

وسميت عقبة الطريق ثنية: لأنّها تتقدّم الطّريق وتعرض له تشبيهاً لها بثنية الأسنان، أو لأنّها تثني سالكها وتصرفه[٢].

والوداع: اسم من التوديع عند الرحيل[٣].

وقد ذكر المؤرخون ثلاثة أقوال في سبب إطلاق اسم الوداع على الثنية المشهورة في المدينة، وهي:

الأول: سميت بذلك بسبب توديع الصحابة للنساء اللاتي كانوا ينكحوهن نكاح المتعة، وكانت تسمى قبل ذلك ثنية الركاب.

روى الطبراني في الأوسط عن جابر قال: "خرجنا ومعنا النساء اللاتي استمتعنا بهن، حتى أتينا ثنية الركاب، فقلنا: يا رسول الله هؤلاء النسوة اللاتي استمتعنا بهن، فقال: هن حرام إلى يوم القيامة، فودعناهن عند ذلك، فسميت بذلك ثنية الوداع، وما كانت قبل إلا ثنية الركاب" [٤].

الثاني: سميت بذلك لأن عندها كان أهل يثرب أو المدينة يودعون المسافرين، ويستقبلون القادمين، ويقولون: إن النبي صلى الله عليه وسلم ودع الصحابة الذين ذهبوا إلى مؤتة وغيرها عند هذه الثنية، فسميت بالوداع لأجل ذلك. أو لأن الصحابة ودعوا رسول الله عندها عندما خرج من المدينة في بعض أسفاره[٥]. وصحح القاضي عياض أن إطلاق هذا الاسم على الثنية قديم قبل زمن النبوة[٦].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ١٢٤/١٤.

(٢) الخوارزمي، المغرب في ترتيب المعرب ١٢٤/١.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان ٨٦/٢.

(٤) الطبراني، المعجم الأوسط ٢٧٨/١. قال الهيثمي: "فيه صدقة بن عبد الله، وثقه أبو حاتم وغيره، وضعفه أحمد وجماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح". ٢٦٤/٤.

(٥) العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب ٢٣٩/٧.

(٦) المصدر السابق نفسه.

الثالث: سميت بذلك نسبة إلى التعشير، وهو أن يقف من يريد الدخول إلى المدينة من غير أهلها عند هذه الثنية، ويعشر قبل أن يدخلها، أي ينهق مثل الحمار عشر مرات، فإن فعل قيل: قد ودع، وإن لم يفعل ذلك أصابته حمى المدينة، وربما قتلته.

وهذه الأسطورة أوردها ابن شبة في تاريخه قال: "كان لا يدخل المدينة أحدٌ إلا عن طريق واحد من ثنية الوداع، فإن لم يعشر بها مات قبل أَن يخرج منها، فإذا وقَفَ على الثنية قيل: (قد وَدَّع) فسميت ثنية الوداع، حتى قدم عروة بن الورد العبسي[1] فقيل له: عَشِّرْ بها [فلم يُعَشرْ] ثم أَنشأَ يقول:

لعمري لئن عَشَّرتُ من خشية الرَّدى نُهاق الحمير إنَّني لَجَزُوع

ثم دخل، فقال: يا معشر اليهود، ما لكم وللتعشير؟ قالوا: إنه لا يدخلها أَحد من غير أهلها فلم يعشّر بها إلا مات، ولا يدخلها أحد من غير ثنيّة الوداع إلا قتله الهُزال. فلما ترك عرْوةُ التعشير تركه الناسُ، ودخلوا من كل ناحية"[2].

ومن الملاحظ أن القول الأول يرى أن التسمية إسلامية، والقول الثاني يحتمل، بينما القول الثالث يذهب إلى أنها جاهلية.

والقول الأول هو الصحيح لأن الأدلة فيه أقوى، وقد نص الراوي فيه على سبب التسمية، فقد جاء في النص أن هذه الثنية كانت تسمى قبل ذلك ثنية الركاب، وتحول اسمها إلى (الوداع) بسبب توديع النساء اللواتي كُنَّ يستمتع بهن.

وترجيح هذا القول لا يمنع من دخول القول الثاني فيه؛ إذ هي فعلاً مكان للتوديع.

أما القول الثالث فرواية تاريخية لا تثبت ولا تعقل، وهي أقرب إلى الخرافة، ولا تقوى على مناهضة الأدلة الأخرى.

---

(١) عروة بن الورد بن زيد العبسيّ، من غطفان: من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها. كان يلقب بعروة الصعاليك، لجمعه إياهم، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم. قال عبد الملك بن مروان: من قال إن خاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد. له ديوان شعر مطبوع. الزركلي، الأعلام ٤/٢٢٧.

(٢) ابن شبه، تاريخ المدينة ١/٢٦٩.

ويطلق عليها بعضهم[١] ثنية السبق؛ لقربها من ميدان سباق الخيل[٢] في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

عدد الثنايا في المدينة المنورة:

لا خلاف بين المؤرخين في وجود عدد من الثنايا داخل المدينة المنورة وحولها ، ولهذه الثنايا أسماء تخصها، منها: ثنية عثعث، قرب جبل سُليع، وثنية الحوض، على العقيق، وثنية الشريد، الواقعة بين جبل عير والفراء[٣].

لكن الخلاف القائم بين المؤرخين في الثنية التي يطلق عليها اسم: (الوداع) في المدينة المنورة، هل هي علم بالغلبة على واحدة بعينها لا ثاني لها؟ أم من باب المشترك الذي سميت به أكثر من ثنية؟ ثم إذا كانت علماً على ثنية بعينها فأين موقعها من المدينة؟ وإذا كان هناك أكثر من ثنية تسمى بـ (الوداع) فأي واحدة هي المرادة عند الإطلاق؟.

سبب الاختلاف:

وهذا الاختلاف مبني على أمور، أهمها: مدى صحة ارتباط اسم الثنية بالنشيد المشهور الذي ورد في عدد من كتب السيرة ومطلعه: (طلع البدر علينا من ثنيات الوداع)، وعلى التسليم بصحته، فهل قيل هذا النشيد عند استقبال النبي صلى الله عليه وسلم لدى وصوله المدينة مهاجراً؟ أم يوم قدومه من غزوة تبوك؟.

وفي حين أن بعض الأقوال التي قيلت لها حظ من النظر لاعتمادها على الرواية، وتحليلها لها؛ إلا أن عدداً منها لا ينبغي أن يلتفت إليه؛ لكونه لا يعتمد على رواية أو نقل، وإنما هو مجرد رأي غير مبني على دليل.

---

(١) العياشي، المدينة بين الماضي والحاضر ٥١٤/١. إدريس، عبد الله بن عبد العزيز، مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ص١٦٠.

(٢) يمتد ميدان سباق الخيول المضمرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الحفياء إلى ثنية الوداع، أما غير المضمرة فيبدأ من ثنية الوداع وينتهي عند مسجد بني زريق. انظر المعلومة في صحيح البخاري ٩١/١، حديث رقم (٤٢٠).

(٣) السمهودي، خلاصة الوفاء ٥٧٥/٢.

وسوف أسوق الأقوال وأدلتها، ثم أبين الراجح منها، وفق منهج الترجيح الذي اعتمده الأصوليون عند تعارض الأدلة.

أقوال العلماء والمؤرخين في موقع ثنية الوداع:

القول الأول:

ذهب هشام بن أحمد الوقشي الأندلسي[١] إلى أن ثنية الوداع هي ثنية بمكة دخل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح، وتبعه محمد بن عبد الحق اليفرني في الاقتضاب، وزاد عليه: "وإماء مكة يصفقن ويغنين:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع..." [٢].

"وهذا القول خطأ محض، لا دليل عليه، بل الأدلة متضافرة على رده، والعامة والخاصة تعرف أن ثنية الوداع في المدينة لا في مكة، ولولا أنه قال: "عام الفتح" لقلت إنه سهو منه[٣]، والثنية التي دخل منها النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح هي ثنية أذاخر لا ثنية الوداع"[٤].

القول الثاني:

ذهب بعض المؤرخين إلى أن الثنية المشهورة هي ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة، وأنها معروفة في الجاهلية، سميت به لتوديع المسافرين.

قال ياقوت الحموي في معجمه: "هي ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة"[٥]. (يريد أنها من جهة الغرب) ثم قال: "واختلف في تسميتها بذلك ، فقيل : لأنَّها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة. وقيل: لأن النبي صلى الله عليه وسلم ودَّع فيها بعض من خلَّف بالمدينة في آخر خَرَجاته. وقيل: في بعض سراياه المبعوثة عنه. وقيل: الوداع اسم وادٍ بالمدينة. والصحيح أنه اسم قديم جاهلي سمي لتوديع المسافرين"[٦].

---

(١) التعليق على الموطأ ٣٥٠/١.

(٢) الاقتضاب في غريب الموطأ ٣٧/٢.

(٣) وقد سها الشيخ أحمد بن إسماعيل الكوراني في الكوثر الجاري ٣٨٢/٧ حين قال: "فإن قلت: ثنية الوداع لا خلاف في شرقي المدينة، فكيف يمكن أن يكون في طريق تبوك؟...". يريد في غربيها. ولذلك لم أفرد لهذا قولاً مستقلاً.

(٤) انظر تعليق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين على كتاب التعليق على الموطأ للوقشي ٣٥٠/١.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البدان ٨٦/٢.

(٦) المرجع السابق نفسه.

ونقل السمهودي هذا القول عن القاضي عياض[١].

وهذه الثنية التي أشار إليها ياقوت ومن بعده تسمى المدرّج، (ضبطها العباسي بالتشديد)[٢] وهي على طريق القوافل القديم، الذي يمر من نقب بني دينار[٣] إلى أن يصل إليها، ثم ينحدر منها إلى العقيق.

ولعل هذه الثنية هي التي وردت في حديث سلمة الذي أورده الطبراني قال: (أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من العقيق حتى إذا كنا على الثنية التي يقال لها ثنية الحوض التي بالعقيق أومأ بيده) الحديث[٤].

قال السمهودي: " وكأنها أضيفت إلى حوض مروان[٥] المتقدم في قصر أبي هاشم بن المغيرة بالعقيق، وأظنها ثنية المدرَّج"[٦].

ويحدد العياشي هذه الثنية فيقول: "إن نقب بنى دينار وثنية الوداع تبدآن من حذو السقيا ماضية في الإصعاد حتى نهاية الإصعاد ومن هنا إذا انحدرت كان نقب بني دينار وثنية الوداع في الانحدار مع المدرج، وفى منتهى الانحدار حوض المدرج يلتقى مع حرة الحوض، هذه ثنية الوداع"[٧].

ولم أجد لهذا القول من الأدلة التي تسمي هذه الثنية باسم الوداع، بل النص الذي أورده الطبراني فيه دليل على أنها لم تكن تشتهر باسم الوداع، فقد سماها الراوي ثنية الحوض، وسماها غيره ثنية المدرج.

---

(١) السمهودي، وفاء الوفاء ١/١٨.

(٢) العباسي، عمدة الأخبار ص٤١٢.

(٣) نقب بني دينار بن النجار: "ويقال له نقب المدينة، هو طريق العقيق بالحرة الغربية وبه السقيا". السمهودي، خلاصة الوفاء ٢/٧٥٠.

(٤) الطبراني، المعجم الكبير، ٧/٣٦.

(٥) "حوض مروان: بالعقيق، قال الزبير: كانت بنو أمية تجري في الديوان رزقاً على من يقوم على حوض مروان بالعقيق في مصلحته". العباسي، عمدة الأخبار، ص٣٠٧.

(٦) السمهودي، وفاء الوفاء ٤/٤٢.

(٧) العياشي، المدينة بين الماضي والحاضر ١/١٨١.

القول الثالث:

ذهب البيهقي[١] وابن القيم[٢] وابن حجر[٣] وغيرهم إلى أن ثنية الوداع إنّما هي من ناحية الشّام لا يراها القادم من مكّة إلى المدينة، ولا يمرّ بها إلّا إذا توجّه إلى الشّام.

وإلى هذا القول ذهب المؤرخ عاتق بن غيث البلادي[٤]، والأستاذ محمد حسن شراب[٥]، والشيخ أحمد الخياري[٦]. والدكتور عبد العزيز الكعكي[٧]، والأستاذ أحمد بن شاكر شهوان من المعاصرين، وقال: "إنَّ المدينة لا يوجد فيها ثنية تسمى (ثنية الوداع) سوى التي في شامي المدينة، وأن ما قاله ابن قيم الجوزية، واستنكره عليه الفيروز أبادي هو الأصح، وموضعها في مخرج نفق المناخة للمتجه نحو سلطانة، فذاك المرتفع في مخرج النفق هي ثنية الوداع، وهي بين الجبل الصغير الذي كان عليه مسجد أثري قديم هدم ، وأعيد بناؤه في العهد السعودي وكانت تُقام فيه الصلوات ، ثمَّ أُزيل ، والطرف الجنوبي الشرقي لجبل سلع، وكسرت الثنية والجبل الصغير الذي يحدها من الشرق وأجزاء كبيرة من جبل سلع من أجل امتداد نفق المناخة، وقد أدركت كل ذلك بنفسي، وكان هناك الطريق المؤدية إلى سلطانة، وهي بين جبل الثنية، والجزء البارز من جبل سلع على شكل رأس من الناحية الشرقية الجنوبية لسلع (القرين الجنوبي الشرقي لسلع)"[٨].

والأدلة على هذا القول متضافرة، منها:

روى ابن شبة بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: "إِنما سميت (ثنية الوداع) لأَن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَقبل من خيبر ومعه المسلمون قد نكحوا النساء

---

(١) البيهقي، دلائل النبوة، ٢٦٦/٥.

(٢) زاد المعاد ٤٨٢/٣.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ٢٦٢/٧.

(٤) عاتق البلادي، معجم المعالم الجغرافية ص٣٣٢.

(٥) محمد حسن شراب، المدينة النبوية في فجر الإسلام والعصر الراشدي ١٨٢/١.

(٦) الخياري، تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً ص ٢١٧.

(٧) الكعكي، موسوعة معالم المدينة المنورة ٢٣٤/٤.

(٨) موقع عيون المدينة، تاريخ الإضافة ١١/١١/ ١٤٣٩هـ.

نِكَاحَ المُتْعَة، فلما كان بالمدينة قال لهم: دعوا ما في أَيديكم من نساء المتعة. فأَرسلوهن، فسميت (ثنية الوداع)" [1].

وروى الطبراني في الأوسط عن جابر قال: (خرجنا ومعنا النساء اللاتي استمتعنا بهن، حتى أتينا ثنية الركاب، فقلنا: يا رسول الله هؤلاء النسوة اللاتي استمتعنا بهن، فقال: هن حرام إلى يوم القيامة، فودعناهن عند ذلك، فسميت بذلك ثنية الوداع، وما كانت قبل إلا ثنية الركاب) [2].

وأخرجه الحازمي بلفظ: (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك حتى إذا كنا عند العقبة مما يلي الشام جاء نسوة كنا تمتعنا بهن يطفن برحالنا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرنا ذلك له، فغضب وقام خطيباً وأثنى على الله ونهى عن المتعة، فتوادعنا يومئذ، فسميت ثنية الوداع) [3].

وقال ابن إسحاق في غزوة تبوك: "فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع، وضرب عبد الله بن أبي عسكره أسفل منه نحو ذباب"[4].

وقال ابن سعد في سرية مؤتة دون دمشق: "وخرج النبي صلى الله عليه وسلم مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف وودعهم، وعسكروا بالجرف"[5].

وفي البخاري عن السائب بن يزيد قال: "أذكر أني خرجت مع الصبيان إلى ثنية الوداع نتلقّى رسول الله صلى الله عليه وسلم"[6] وذلك مقدمه من غزوة تبوك.

---

(١) ابن شبه، أخبار المدينة ١٦٣/١.

(٢) الطبراني، المعجم الأوسط ٢٧٨/١. وقد تقدم تخريج الرواية ص٥.

(٣) الحازمي، الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص١٣٨. قال ابن حجر: "لا يصح من طريق عباد بن كثير، وهو متروك". فتح الباري ١٧٠/٩.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية ٥١٩/٢.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى ١٢٨/٢.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ٨/٦، حديث رقم (٤٤٢٦).

وفيه أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "أجرى النبي صلى الله عليه و سلم ما ضمر من الخيل من الحفياء إلى ثنية الوداع وأجرى ما لم يضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق قال ابن عمر وكنت فيمن أجرى"[١].

وروى ابن إسحاق في غزوة الغابة أن أول من نذر بهم سلمة، غدا ومعه قوسه وهو يريد الغابة، فلما أشرف على ثنية الوداع نظر إلى الجبل، فعلا في سلع ثم صرخ: وا صباحاه[٢].

وروى البيهقي عن أبي قتادة: "أنه أسرج فرسه، ثم نهض حتى أتى الزوراء، فلقيه رجل، فقال: يا أبا قتادة، تسوط دابتك[٣] وقد أُخِذت اللقاح، وقد ذهب النبي صلى الله عليه وسلم في طلبها وأصحابه، فقال: أين؟ فأشار له نحو الثنية، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه جلوساً عند ذباب، وذكر قصته في غزوة الغابة"[٤]. "والزوراء: في قبلة هذه الثنية، وذباب: في شاميها".

القول الرابع:

ثنية الوداع اسم مشترك بين الثنية الغربية والثنية الشمالية في المدينة المنورة، وقد اختلف أصحاب هذا القول في مستوى شهرة كل ثنية باسم الوداع، وانقسموا إلى ثلاثة أقوال:

الأول: ذهب الفيروز أبادي إلى أن ثنية الوداع اسم يطلق على الثنية الغربية، وعلى الثنية الشمالية، إلا أن شهرة الثنية الغربية أكثر، قال الفيروز أبادي: "هي ثنية مشرفة على المدينة، يطؤها من يريد مكة، وقيل: من يريد الشام"[٥]. ثم نقل كلام ياقوت بحرفه ثم قال: "وهكذا قال أهل السير والتاريخ وأصحاب المسالك أنها من جهة مكة، وأهل المدينة اليوم يظنونها من جهة الشام، وكأنهم اعتمدوا كلام ابن قيم الجوزية في هديه فإنه قال: من جهة الشام ثنيات الوداع، ولا يطأها القادم من مكة البتة، والجمع بينهما: أن كلتا الثنيتين تُسمى ثنية

(١) البخاري، صحيح البخاري ٩١/١، باب: السبق بين الخيل، حديث رقم (٤٢٠).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ٢٨١/٢.

(٣) يقال: ساط الأمر يسوطه، أي يقلبه ظهراً لبطن. انظر: الزبيدي، تاج العروس ٣٠١/١٠.

(٤) البيهقي، دلائل النبوة ١٩١/٤. والرواية أصلها في الصحيح.

(٥) الفيروزأبادي، المغانم المطابة ١٨٩/٢.

الوداع والله أعلم "[1]. فكأن الفيروز أبادي يقول: إن ثنية الوادع تشتهر بها واحدة بعينها، وهي التي في غرب المدينة، ولا يمنع أن تشترك معها غيرها بالاسم نفسه وهي التي في شمال المدينة، لكن بدرجة أقل من حيث الشهرة، فجعل الغربية كالأصل، والشمالية تبع.

وعليه: فإن اسم الوداع إذا أطلق عند الفيروز أبادي يراد به الثنية الغربية.

ولم أجد لهذا القول من رواية تذكر، أو دليل يعتمد عليه، سوى مجرد النقل عمن سماهم الفيروز أبادي أصحاب المسالك.

الثاني: ذهب السمهودي إلى أن ثنية الوداع اسم تشتهر به الثنية الشمالية، وقد يطلق على الثنية الغربية، فكأن السمهودي قلب فجعل ما اعتبره الفيروز أبادي أصلاً فرعاً، وما اعتبره فرعاً أصلاً.

بل إن من يتأمل كلام السمهودي في ثنية الوداع، والأدلة التي ساقها على أنها تلك الثنية المشهورة في شمال المدينة؛ لا يرتب في أنه رحمه الله لا يرى تسمية الثنية التي في غرب المدينة باسم الوداع، لولا عبارة أوردها في آخر كلامه على الثنية وهي قوله: "وإن سُلّم الجمع الذي ذكره المجد من أن كلاً من الثنيتين يسمى بذلك؛ فالمراد من الأخبار المتقدمة كلها الموضع المتقدم بيانه في شامي المدينة"[2].

بل إنه اعتبر في خلاصته القول بأنها في جهة مكة من باب الوهم فقال: " ثنية الوداع: بفتح معروفة شامي المدينة، خلف سوقها القديم، بين مسجد الراية الذي على ذباب ومشهد النفس الزكية قرب سلع، وقد أوضحنا في الأصل ظاهر الأحاديث وكلام المؤرخين على أنها بهذه الجهة مع منشأ الوهم في جعلها في جهة مكة"[3].

وعليه فإن قول السمهودي أقرب إلى قول البيهقي وابن حجر وابن القيم في كون الثنية الشمالية هي المرادة عند الإطلاق، وأدلته أدلتهم.

الثالث: ذهب كثير من المؤرخين إلى إطلاق اسم (الوداع) على كلتا الثنيتين، وبمستوى واحد من حيث الشهرة.

---

(١) المصدر السابق ٢/١٩٠.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا ٤/٤٦.

(٣) السمهودي، خلاصة الوفا ٢/٥٧٦.

قال العباسي في عمدة الأخبار: "ثنية الوداع اثنتان: أحدهما على الشامي، والثانية على طريق مكة كما ذكره القاضي عياض وغيره"(١).

ويقول عبد القدوس الأنصاري: "وكما أن أهل المدينة كانوا يودعون المسافر منها إلى ناحية الشام من الثنية التي هي بطريق الشام؛ فكذلك لهم أن يودعوا المسافر إلى جهة مكة من الثنية الواقعة بطريق مكة، ويحق لكل من الثنيتين بهذا النظر أن تسمى ثنية الوداع؛ لقيام معنى الثنية الذي هو الطريق في الجبل والوداع بكل منهما، ولاشتراكهما فيه، فكلتاهما مركز لتوديع المسافرين"(٢).

ولم أجد لهذا القول ما يؤيده من الروايات، وكون كلتا الثنيتين مركزاً لتوديع المسافرين، ولهم أن يسموها به ـ كما يقول الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ـ لا يعني بالضرورة أن اسمها كذلك، وأن السابقين أطلقوا عليها هذا الاسم (الوداع)، بل إن الواقع بخلافه، فكثير من مراكز التوديع لها أسماء تخصها.

القول الخامس:

ذهب بعض المتأخرين إلى أن ثنية الوداع اسم مشترك بين الثنية الجنوبية والثنية الشمالية في المدينة المنورة.

وإلى هذا القول ذهب الشيخ غالي الشنقيطي والأستاذ غازي بن سالم التمّام، وقد حددا موقعها عند قلعة قباء، على طرف حرة بني بياضة، شمال مسجد قباء، وفي الشمال الغربي لمسجد الجمعة.

قال الأستاذ غازي بن سالم التمّام: "وأما ثنية الوداع الجنوبية في قباء فإنه لم يبق منها إلا ما هو تحت القلعة التركية الأثرية"(٣). وقال الشيخ غالي الشنقيطي: "وقيل إن للمدينة ثنيتي وداع: إحداهما لوداع الحاج وهي جنوبي المدينة قبيل قباء، وهي التي وقع فيها نشيد استقبال الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم، وهي عقدة من الحرة تقع عليها الآن قلعة من العهد

---

(١) العباسي، عمدة الأخبار ص١٩٧.

(٢) الأنصاري، عبد القدوس، آثار المدينة ص١٢٣.

(٣) غازي التمام، رسائل في آثار المدينة ١/١١

التركي"[١]. ثم رجح هذا القول فقال: "الدليل على أن ثنية الوداع الواردة في النشيد هي الجنوبية..."[٢]. ثم سرد طريق النبي صلى الله عليه وسلم من قباء إلى أخواله بني النجار.

ويلاحظ أن أصحاب هذا القول استبدلوا الثنية الغربية بثنية جنوبية. وسيأتي التعليق على منشأ الوهم عند هؤلاء.

القول السادس:

ذهب الشيخ إبراهيم العياشي إلى أن ثنية الوداع اسم مشترك يطلق على ثلاث ثنايا في المدينة المنورة، الأولى والثانية هما: الثنيتان الشمالية والغربية اللتان تقدم ذكرهما، وأما الثنية الثالثة فقد جعلها في جنوب المدينة كأصحاب القول السابق، إلا أنه خالفهم في تحديدها، قال: "هي ثلاث ثنايا، الأولى: ثنية الوداع بقباء مما يلي جنوب بئر عذق[٣]، والثانية: بالمدرج الهابط للعقيق، والثالثة: ما بين القرين الفوقاني وجبل سلع"[٤].

وقد وافق الشيخ العياشي كثير من المعاصرين المهتمين بتاريخ المدينة، واجتهدوا في تحديدها، وجعلها بعضهم عند مسجد بني أُنَيف[٥].

القول السابع:

ذهب الدكتور تنيضب الفايدي إلى أن ثنية الوداع اسم مشترك يطلق على عدة ثنايا في المدينة المنورة، وكلها في شمال المدينة شرقي جبل سلع. قال: "والواقع الميداني يثبت أنها عدة ثنيات، وكلها شرق جبل سلع"[٦]. ثم راح يحددها واحدة تلو الأخرى.

---

(١) غالي الشنقيطي، الدر الثمين في معالم الرسول صلى الله عليه وسلم ١/١٢٤

(٢) المصدر السابق ١/١٢٦.

(٣) بئر عذق: أحد الآبار التاريخية، تقع في منازل بني أنيف بمنطقة قباء. السمهودي، وفاء الوفا ٤/٢٢.

(٤) العياشي، المدينة بين الحاضر والماضي ١/٩٥

(٥) سمعت هذا القول من أحد الإخوة من خلال مقطع مسجل على (اليوتيوب) ضمن برنامج: (على خطى العرب: ثنيات المدينة وقبائها – الحلقة ١٦) رابط البرنامج (http://ara.tv/٨xfct).

ومسجد بني أنيف: أحد المساجد التاريخية التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم، ويقع في الجنوب الغربي لمسجد قباء. انظر: الخياري، تاريخ معالم المدينة قديماً وحديثاً ص١٥٦.

(٦) تنيضب الفايدي، تاريخ طيبة في خير القرون ص٣٧٤.

منشأ الوهم:

وحاولت أن أجد لأصحاب هذا القول الذين قالوا بوجود ثنية في جنوب المدينة تسمى ثنية الوداع؛ حاولت أن أجد له رواية تؤيده، أو قولاً من المتقدمين يعضده؛ فلم أجد سوى ما توهموه أنه دليل، وهو ما ورد من أن فتيات من الأنصار استقبلن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قدومه المدينة مهاجراً من مكة قائلات:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

فكأنهم قالوا: ما دام أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المدينة من جنوبها باتفاق، وما دام أن ثنية الوداع ذكرت في ذلك الوقت؛ فلا بد إذن من وجود ثنية تسمى الوداع في تلك الناحية أُنشدت عندها هذه الأبيات. ثم راحوا يبحثون عن مكان يشبه الثنية في تلك الجهة، فوجد بعضهم ضالته عند مسجد بني أنيف حيث الطريق المتعرج، والصعود والهبوط، ووجد بعضهم ضالته عند قلعة قباء، حيث أقيمت على مرتفع من الحرة يشبه الثنية.

وإنما لم يتفق أصحاب هذا القول على تحديد مكان واحد للثنية؛ لأنهم مختلفون ضمناً في الوقت الذي أنشد فيه ولائد أهل المدينة هذا النشيد، هل هو عند وصوله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى قباء، أم بعد انطلاقه من قباء إلى منازل أخواله بني النجار.

لذلك تجد أن بعضهم قد جعل الثنية قبل منازل بني عمرو بن عوف في قباء، عند مسجد بني أنيف، وجعلها الآخرون بعد مسجد قباء، عند القلعة، فكأنهم يقولون: إنما قيل هذا النشيد بعد الانطلاق من قباء إلى داخل المدينة حيث منازل بني النجار.

وإنك لتدرك أخي القارئ حجم الوهم الذي بنوا عليه هذا القول، وتراكم الأخطاء التي وقعوا فيها، ومدى الجرأة التي قادتهم إلى تلك الأخطاء دون أن يكون لهم دليل يهتدون به، أو نقل يعتمدون عليه.

وهذا الذي فعلوه من الخطورة بمكان، فهو يشبه في بعض الوجوه الحديث الموضوع، وهو الذي اختلقه بعض الرواة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو لم يقله، وهؤلاء اختلقوا ثنية للوداع في تلك الناحية ليس لها وجود في الواقع، ولم يقل بها أحد من المؤرخين

السابقين رغم اهتمامهم الشديد بكل المعالم المرتبطة برسول الله صلى الله عليه وسلم، فذاك اختلاق في القول، وهذا اختلاق في المكان. وما كل صعود وهبوط ثنية، ولا كل حمراء تمرة، ولا كل بيضاء شحمة.

ولَكَم حذرت عدداً من الإخوة المهتمين في دراسة السيرة النبوية، وتنزيلها على الواقع المعاصر؛ من مثل هذه الجرأة، التي تضع صاحبها في مصاف المتَّهَمين الذين جنوا على أنفسهم قبل أن يجنوا على السيرة والتاريخ.

ولَأَن يبقى المرء في دائرة الخمول خير له ألف مرة من أن يخرج إلى دائرة الضوء والشهرة من خلال هذه الجرأة.

وإن الذي أوقع هؤلاء في مثل هذا ـ فيما رأيت ـ إنما هو البعد عن المنهج العلمي الذي وضعه العلماء في دراسة الأدلة، والجمع والترجيح عند التعارض.

نعم إن العلماء السابقين يُجْمعون أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المدينة من جهتها الجنوبية، بناء على الروايات الصحيحة، ويَعْرفون تمام المعرفة الرواية التي تنص على أن فتيات من الأنصار استقبلن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قدومه المدينة مهاجراً من مكة بنشيد: طلع البدر علينا... لكن أحداً منهم لم يجرؤ على ما اجترأ عليه هؤلاء من إثبات ثنية للوداع في تلك الجهة فضلاً عن تحديد مكانها، لسبب بسيط جداً وهو أن المنهج العلمي الذي هم متمكنون منه لا يسمح لهم بذلك، فإثبات الشيء يحتاج إلى دليل، وتحديده أيضاً يحتاج إلى دليل آخر. وهذا ما لم يتوفر لما توهمه أصحاب هذا القول من إثبات ثنية دخل منها النبي صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة، بله تحديدها. لذلك جاء منهجهم في التعامل مع هذه الرواية مختلفاً عما فعله بعض من ينتمي إلى العلم والمعرفة في زماننا، وهذا ما سأبينه بعد قليل.

منهج العلماء في التعامل مع رواية: (طلع البدر علينا...)

إن من ينظر كلام العلماء وتعاملهم مع هذه الرواية التي اشتهر أنها قيلت يوم الهجرة النبوية المباركة، وما تحمله من ألفاظ تدل على أنه صلوات ربي وسلامه عليه دخل المدينة من ثنية الوداع، يجد أن المنهج الذي اتبعوه في التوفيق بينها وبين ما هو معلوم لديهم جميعاً من

أنه صلى الله عليه وسلم إنما دخل المدينة من جهتها الجنوبية، وما هو مشهور من أن ثنية الوداع كانت في شمال المدينة وليس في جنوبها؛ يجد أن المنهج الذي اتبعوه في التعامل مع ظاهر هذا التناقض مختلف.

فذهب بعضهم إلى تضعيف الرواية سنداً، وذهب بعضهم إلى تضعيفها سنداً ومتناً، ورجح كثير منهم أنها قيلت يوم قدوم النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما دخل المدينة من ثنية الوداع يوم تبوك وليس يوم الهجرة، وبعضهم ذهب إلى الجمع وقال: إنها قيلت مرتين، مرة يوم الهجرة ومرة يوم تبوك، ولم يستبعد بعضهم أن تكون قد قيلت يوم الهجرة وأن يكون أهل المدينة استقبلوا النبي صلى الله عليه وسلم بهذا النشيد الجميل عند ثنية الوداع الشامية.

وسوف أسوق لك أخي القارئ نماذج من مواقف العلماء في ذلك، لتدرك دقة المنهج الذي يتعاملون به، والفرق الكبير بين ما كانوا عليه من الانضباط في التعامل مع الروايات التي ظاهرها التعارض، وبين ما آل إليه بعض المهتمين اليوم من الخروج عن المنهج العلمي في التعامل مع مثل هذه الروايات، وما قادهم إليه هذا الخروج من أخطاء مركبة، وجناية على المعالم والتاريخ.

- أورد الإمام البيهقي رواية: "طلع البدر علينا" في أحداث هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وساقها أيضاً في أحداث غزوة تبوك، ثم قال معلقاً: "وهذا (أي: طلع البدر علينا) يذكره علماؤنا عند مقدمه المدينة من مكة، وقد ذكرناه عنده إلا أنه لما قدم المدينة من ثنية الوداع عند مقدمه من تبوك، والله أعلم فذكرناه أيضاً هاهنا"(١).

نلاحظ هنا أن الإمام البيهقي كان متردداً في الحكم، فهو يحفظ عن مشايخه أن هذا النشيد قيل يوم الهجرة، إلا أنه يعلم أيضاً أن ثنية الوداع في شامي المدينة وليس في جنوبها، وأن النبي صلى الله عليه وسلم دخل منها يوم القدوم من تبوك، وليس يوم الهجرة، فاضطر لذكر النشيد في الموضعين. وتوقف في الحكم على المسألة، وأسند العلم إلى الله.

---

(١) البيهقي، دلائل النبوة ٥/٢٦٦.

وقد علق صاحب السيرة الحلبية على قول البيهقي بقوله: "ولا مانع من تعدد ذلك"[1]. يريد أنه لا يمنع أن يكون أهل المدينة قد أنشدوا هذا النشيد يوم الهجرة ويوم تبوك.

ولكن أياً من البيهقي أو الحلبي لم يجرؤ على القول بوجود ثنية في الجنوب بله تحديد موقعها.

- قال الحافظ ابن حجر: "وأخرج أبو سعيدٍ في شرف المصطفى وروّيناه في فوائد الخلعيّ من طريق عبيد الله بن عائشة منقطعًا لما دخل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم المدينة جعل الولائد يقلن: طلع البدر علينا من ثنيّة الوداع وجب الشّكر علينا ما دعا لله داع، وهو سندٌ معضلٌ، ولعلّ ذلك كان في قدومه من غزوة تبوك"[2].

وهنا نجد الحافظ قد ضعف الرواية بقوله: "وهو سندٌ معضلٌ". ثم وجهها على فرض صحتها فقال: "ولعلّ ذلك كان في قدومه من غزوة تبوك". وهذا التوجيه من الحافظ لسبب بسيط وهو أنه يعلم ألا وجود لثنية في جنوب المدينة تسمى الوداع.

وقد أخذ الإمام السمهودي طريقاً آخر في التوجيه، فقال معلقاً على كلام الحافظ: "إن ذلك لا يمنع من كونه [أي: كون النشيد قيل] في الهجرة عند القدوم من قباء؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ركب ناقته، وأرخى لها زمامها، وقال: دعوها فإنها مأمورة، ومر بدور الأنصار كما سبق، حتى مر ببني ساعدة، ودارهم في شاميّ المدينة قرب ثنية الوداع، فلم يدخل باطن المدينة إلا من تلك الناحية حتى أتى منزله بها، وقد عرج النبي صلى الله عليه وسلم في رجوعه من بدر إلى ثنية الوداع؛ لما في مغازي ابن عقبة أنه صلى الله عليه وسلم سلك حين خرج إلى بدر حتى نقب بني دينار، ورجع حين رجع من ثنية الوداع"[3].

فالسمهودي جمع بين الرواية التي تذكر أن النشيد (طلع البدر علينا) قيل يوم الهجرة؛ وبين ما هو معلوم من أن ثنية الوداع في شمال المدينة، جمع بينهما بأن النشيد قيل يوم الهجرة لكن في مكان ثنية الوداع التي في شام المدينة، وأنه صلى الله عليه وسلم بعد أن مر على قبائل الأنصار ووصل إلى ثنية الوداع استقبله أهل المدينة بهذا النشيد.

---

(١) الحلبي، علي بن إبراهيم، السيرة الحلبية ١٢٣/٣.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ٢٦٢/٧.

(٣) السمهودي، وفاء الوفا ٤٥/٤.

- أما ابن القيم فقد أورد النشيد في سياق غزوة تبوك، ثم قال:" وبعض الرّواة يهم في هذا ويقول: إنّما كان ذلك عند مقدمه إلى المدينة من مكّة، وهو وهمٌ ظاهرٌ; لأنّ ثنيّات الوداع إنّما هي من ناحية الشّام لا يراها القادم من مكّة إلى المدينة، ولا يمرّ بها إلّا إذا توجّه إلى الشّام"(١).

وأنت تلاحظ أخي القارئ أن العلامة ابن القيم لم يتردد في أن (طلع البدر علينا) قيلت يوم رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك؛ لما هو معروف عنده من أن ثنية الوداع من جهة الشام وليست من جهة الجنوب، فكأنه أعل متن الرواية.

- وقال الدكتور أكرم ضياء العمري: " أما تلك الروايات التي تفيد استقباله بنشيد (طلع البدر علينا من ثنيات الوداع) فلم ترد بها رواية صحيحة"(٢).
- وقال الشيخ محمد محمد أبو شهبة في تعليقه: " أما ما يذكره بعض كتّاب السيرة من أنهم قالوا: طلع البدر علينا ... فقد خالفه المحققون كابن القيم، والحافظ العراقي، والحافظ ابن حجر، وقالوا: إن ذلك كان مرجعه من تبوك، وذلك لأن ثنية الوداع من جهة الشام لا من جهة مكة"(٣).
- ونقل محمد السيد الوكيل خلاف العلماء في الوقت الذي أنشد فيه (طلع البدر علينا) ثم قال: "والأرجح أنه كان يوم العودة من تبوك، لأن كبار كتاب السيرة والتاريخ لم يثبتوا هذا النشيد عند استقبال أهل المدينة للرسول صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة ولم يقله إلا ابن كثير – رحمه الله – نقلا عن البيهقي". ثم قال: "وإذا كان كبار المؤرخين كالطبري وابن هشام وابن سعد وابن إسحاق لم يذكروا

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد ٤٨٢/٣. وقد نسب الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/ ١٢٨ لابن القيم القول بأن ثنية الوداع جهة مكة لا جهة الشام. قال الصالحي الشامي في سبل الهدى ٢٧٨/٣ : " وقد راجعت الهدي في غزوة تبوك فرأيته ذكر أن ثنية الوداع شاميّ المدينة كما نقله عنه صاحب القاموس والسّيّد لا كما نقله عنه الحافظ ولم يذكر في الهدي في الكلام على الهجرة شيئاً من ذلك".

(٢) أكرم العمري، السيرة النبوية الصحيحة ص٢١٩.

(٣) أبو شهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ٢٥/٢.

هذا النشيد في حوادث الهجرة فإن ذلك يجعلنا نقطع بأن النشيد كان يوم العودة من غزوة تبوك"[1].

وأنت تعلم أخي القارئ من خلال ما تقدم توقف البيهقي في القطع بذلك.

- وقال الأستاذ محمد حسن شراب: "أما أنشودة (طلع البدر علينا) التي يروون أن الولائد كن يقلنها، عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فليس لها سند متصل صحيح ... ولم يروها أهل الحديث، ورواة السيرة الأقدمون، كابن اسحق، وابن سعد، وإنما رويت في كتب المتأخرين، وإذا صحت، فإنها تكون قيلت يوم مقدم رسول الله من تبوك؛ لأن ثنية الوداع المعروفة عند أهل المدينة، تقع في طريق تبوك"[2].

هذا غيض من فيض ما ذكره العلماء ومواقفهم من هذه المسألة، وأنت تلاحظ أخي القارئ أن أياً منهم لم يجرؤ على ادعاء ثنية في جنوب المدينة المنورة، بله تحديد موقعها، وليت بعض المتصدرين لهذا الأمر في زماننا نقلوا خبر قدوم النبي ﷺ إلى قباء واستقبال أهل المدينة له بنشيد: (طلع البدر علينا) ثم اكتفوا بذلك كما فعل كثير ممن كتب في السيرة النبوية، ولو فعلوا ذلك لكان خيراً لهم، ولعدوا من ضمن الناقلين للخبر، أما أن يحاولوا تأويل النصوص على غير وجهها، ثم يخترعوا لنا ثنية في غير مكانها، ثم يقوموا بتحديد مكانها! فهذا والله هو الجهل إن حسن الظن.

قد يجد هؤلاء سلوتهم بقول الإمام الزرقاني: "وقد تقدم أن الولي العراقي قال: يحتمل أن الثنية التي من كل جهة يصل إليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع. وقدمت أن هذا يؤيده جمع الثنيات، إذ لو كان المراد التي من جهة الشام لم يجمع. ولا مانع من تعدد وقوع هذا الشعر، مرة عند الهجرة ومرة عند قدومه من تبوك".

إلا أن أدنى متأمل في كلام هذا الإمام يجد أن البون شاسع بين ما قاله هو وبين ما ادعاه هؤلاء، فهو رحمه الله جعل الأمر محتملاً لوجود أكثر من ثنية قيل عندها هذا النشيد،

---

(١) محمد السيد الوكيل، المدينة المنورة معالم وحضارة ص١٦٣.

(٢) محمد حسن شراب، المدينة المنورة في فجر الإسلام ١/١٠٥.

وأيد ما ذهب إليه بالجمع الوارد في كلمة (ثنيات)، ثم لم يستبعد أن يكون قد قيل هذا الشعر مرتين مرة عند الهجرة ومرة عند قدومه صلى الله عليه وسلم من تبوك. لكنه لم يحدد ثنية في تلك الجهة، وليس هو من أهل هذا التخصص، ولم يدعه، لكنه بنى كلامه على ما فهمه من الجمع في (ثنيات)، وقد علمت ما ذكره المحققون في هذا النشيد سنداً ومتناً.

على أن أدنى عارف بالمنطقة يدرك ألا ثنية بين عير وقباء، وأن المنطقة حرة منبسطة، لا يصدق على أي جزء منها مسمى الثنية الذي تقدم تعريفه في مطلع البحث.

كما أن التلعة التي بنيت فوقها قلعة قباء ليست على الطريق الجادة بحيث لا يمكن للمار بين قباء والمدينة إلا أن يقتحمها، بل الطريق سهل وفسيح، ولا يصدق على هذا المكان اسم الثنية بحال من الأحوال.

الراجح من الأقوال المتقدمة:

وعليه فإن كل الأخبار التي وردت في الأحاديث والسير تؤكد أن ثنية الوداع إنّما هي تلك الثنية المعروفة من ناحية الشّام، وأنها سميت بالوداع بسبب توديع الصحابة للنساء اللاتي كانوا ينكحوهن نكاح المتعة، وكانت تسمى قبل ذلك ثنية الركاب، أو لتوديع المسافرين عندها، أو لكل ذلك.

قال السمهودي: "وكل هذه الروايات متظاهرة على أن هذه الثنية هي المعروفة بذلك اليوم في شامي المدينة بين مسجد الراية الذي على ذباب ومشهد النفس الزكية، يمر فيها المار بين صدين مرتفعين قرب سلع. ومن تأمل كلام ابن شبة في المنازل وغيرها لم يرتب في ذلك، وسوق المدينة كانت هناك"(١).

قال: "ولم أر لثنية الوداع ذكراً في سفر من الأسفار التي بجهة مكة...وإن سلم الجمع الذي ذكره المجد من أن كلا من الثنيتين يسمى بذلك؛ فالمراد من الأخبار المتقدمة كلها الموضع المتقدم بيانه في شامي المدينة، وكذلك من حديث السباق في أمد الخيل المضمرة أنه من الغابة أو الحفيا إلى ثنية الوداع إلى مسجد بني زريق؛ لانطباق المسافة المذكورة في ذلك

(١) السمهودي، وفاء الوفا ٤/٤٤.

على الموضع المتقدم، كما سبق في مسجد بني زريق، وكما سيأتي في الحفيا، مع أن ما بين بني زريق وثنية المدرج لا يصلح للسباق أصلاً، وهو على نحو ضعفي ما ذكروه في المسافة".

وأما الثنايا الأخرى فلها أسماء تخصها، ولم يرد في الأخبار اطلاق اسم الوداع عليها، وأي ثنية ليس لها اسم خاص بها فليس لها وجود في الواقع، وعليه فإن ما ادعاه بعض المعاصرين من وجود ثنية في جنوب المدينة قبل بئر عذق أو عند قلعة قباء، أو شمال المدينة قرب الثنية المعروفة، وكلها تسمى بالوداع؛ إنما هو محض توهم ليس عليه دليل، ولذلك تجد هؤلاء الذين اخترعوا هذه الثنايا عندما يريدون الإشارة إلى إحداها أو الحديث عنها فإنهم يضطرون إلى تحديد الجهة، فيقول مثلاً: ثنية الوداع الشامية أو الجنوبية أو الغربية، وهذا التحديد لا تجده في كتب الرواية، بل لا تجده إلا في كتب هؤلاء ومقالاتهم.

وصف الثنية:

مر معنا أن ثنية الوداع تقع شمال المدينة، غربي ما يعرف اليوم بمجمع وقف الداودية، عند مفترق عدد من الطرق المعروفة، وهي طريق أبي بكر الصديق (سلطانة) وطريق سيد الشهداء، وطريق عثمان بن عفان (العيون).

وكان من يريد أن يتجه من المدينة المنورة إلى جهة الشمال لا بد له من أن يصعد في جبل صغير، يتكون من الصخور البازلتية الصلبة، لا يتجاوز ارتفاعه خمسة أمتار، هذه النقطة في هذا الطريق هي ثنية الوداع، ولأجل ذلك سميت ثنية.

والجبل الذي تقع عليه الثنية هو امتداد لجبل سلع، وأحد أفرعه الضاربة في الاتجاه الشرقي، ويسميه بعض المعاصرين جبل الثنية[1].

وقد أقيم في موضع الثنية مسجد، وجدد مرات عديدة، وكانت تُقام فيه الصلوات ، ثمَّ أُزيل المسجد، وكسرت الثنية والجبل الصغير الذي يحدها من الشرق، وأجزاء كبيرة من جبل سلع من أجل امتداد نفق المناخة، قال الأستاذ أحمد بن شاكر شهوان: "وقد أدركت كل ذلك بنفسي، وكان هناك الطريق المؤدية إلى سلطانة، وهي بين جبل الثنية، والجزء البارز من

(١) الكعكي، عبد العزيز، معالم المدينة المنورة، الجبال، ٢٧٧/١.

جبل سلع على شكل رأس من الناحية الشرقية الجنوبية لسلع (القرين الجنوبي الشرقي لسلع)"[1].

(١) موقع عيون المدينة، تاريخ الإضافة ١١/١١/ ١٤٣٩هـ.

الخاتمة:

بعد أن طوفت بك أخي القارئ في معنى الثنية، وسبب تسميتها، وأقوال المؤرخين في المراد منها، وبيان الراجح من تلك الأقوال، وتحديد موقعها، وما آلت إليه؛ يجدر بي أن ألخص لك مجمل نتائج البحث في النقاط التالية:

- الثنية: هي العقبة التي تعترض الطريق ولا يمكن المحيد عنها، سواء في جبل، أو أعلى المسيل، وسميت ثنية لأنّها تتقدّم الطّريق وتعرض له تشبيهاً لها بثنية الأسنان ، أو لأنّها تثني سالكها وتصرفه.
- الراجح أن تسمية الثنية بالوداع؛ تسمية إسلامية، بسبب توديع الصحابة للنساء اللاتي كانوا ينكحوهن نكاح المتعة، وأمروا بمفارقتهن في هذا المكان، وكانت تسمى قبل ذلك ثنية الركاب.
- قصة التعشير التي وردت في بعض كتب التاريخ قصة خرافة لا يقبل العقل تصديقها.
- هناك عدد من الثنايا داخل المدينة المنورة وحولها ، ولهذه الثنايا أسماء تخصها، منها: ثنية عثعث، وثنية الحوض، وثنية الشريد.
- وقع خلاف بين المؤرخين في الثنية التي يطلق عليها اسم: (الوداع) في المدينة المنورة، فقيل: إنها من جهة مكة، وقيل: من جهة الشام، وقيل: من جهة الجنوب، وقيل: إن اسم الوداع مشترك بين كل تلك الثنايا، لكن الراجح من الأقوال الذي تؤيده النصوص والأدلة: أنها من ناحية الشّام، قرب جبل سلع. وقد ورد ذكر هذه الثنية في عدد من الروايات والأحداث.
- الراجح أن نشيد: (طلع البدر علينا) لم يثبت سنداً ومتناً، ومن ذكره من العلماء الذين افترضوا صحته رجحوا أنه إنما قيل يوم رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك وليس يوم الهجرة الشريفة.
- بني في مكان الثنية مسجد، كانت تقام فيه الصلوات، ثم هدم المسجد، وأزيل الجبل الذي فيه الثنية من أجل امتداد نفق المناخة.

وإن كان لي في البحث توصية فإنها تتوجه للمعنيين بالمحافظة على المعالم التاريخية والسياحية في المملكة العربية السعودية، فلعلهم يجدون طريقة مناسبة للإشارة إلى الثنية، وموقعها، وأهميتها التاريخية، وارتباطها بعدد كبير من الأحداث في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام.

والله ولي التوفيق،،،

فهرس المصادر والمراجع

-**آثار المدينة**. المؤلف: عبد القدوس الأنصاري. الناشر: المكتبة السلفية- المدينة المنورة. الطبعة الثالثة. ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

-**الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار**. المؤلف : أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين (المتوفى : ٥٨٤هـ). الناشر : دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد ، الدكن. الطبعة : الثانية ، ١٣٥٩ هـ.

-**الاقتضاب في غريب الموطأ** . المؤلف: محمد بن عبد الحق اليفرني (٦٢٥ هـ). تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. الناشر: مكتبة العبيكان. الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م.

-**التعليق على الموطأ**. المؤلف: هشام بن أحمد الوقشي الأندلسي (٤٠٨ هـ - ٤٨٩ هـ). تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض - المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

-**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**. المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. الناشر: دار طوق النجاة. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

-**الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم**. المؤلف: غالي محمد الأمين الشنقيطي. الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن. جدة —بيروت. الطبعة الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

-**السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون**. المؤلف: علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: ١٠٤٤هـ). الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الثانية – ١٤٢٧هـ.

-**السيرة النبوية** . المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ). تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.

-**السيرة النبوية الصّحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدّثين في نقد روايات السّيرة النّبويّة**. المؤلف: د. أكرم ضياء العمري. الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة. الطبعة: السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

-**السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**. المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ).الناشر: دار القلم – دمشق.الطبعة: الثامنة - ١٤٢٧ هـ.

-**الطبقات الكبرى**. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ). تحقيق: إحسان عباس. الناشر: دار صادر – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.

-**الكوثر الجاري**. المؤلف: أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى ٨٩٣ هـ. تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

-**المدينة المنورة معالم وحضارة** . المؤلف: محمد السيد الوكيل

-**المدينة النبوية في فجر الإسلام**. المؤلف: محمد محمد حسن شراب. الناشر: دار القلم الدار الشامية. دمشق- بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.

-**المدينة بين الماضي والحاضر**. المؤلف: إبراهيم بن علي العياشي. مكتبة الثقافة المدينة المنورة. الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م. الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

-**المعجم الأوسط**. المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ). تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. الناشر: دار الحرمين — القاهرة.

-**المعجم الكبير للطبراني**. المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ). تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. دار النشر: مكتبة ابن تيمية — القاهرة. الطبعة: الثانية.

-**المغانم المطابة في معالم طابة**. المؤلف: مجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي. الناشر: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.

-**تاريخ المدينة لابن شبة**. المؤلف: عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ). تحقيق: فهيم محمد شلتوت. طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد — جدة. عام النشر: ١٣٩٩ هـ.

-**تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً**. المؤلف: أحمد ياسين أحمد الخياري المدني الأزهري الحسيني ت ١٣٨٠ هـ. تعليق: عبيد الله محمد أمين كردي. من إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي.

-**خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى**. المؤلف: علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (المتوفى: ٩١١هـ). تحقيق: د/ محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكيني. طبع على نفقة السيد: حبيب محمود أحمد، وجعله وقفا لله تعالى.

-**دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**. المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ). الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ.

-**رسائل في آثار المدينة**. المؤلف: غازي بن سالم التمّام. الناشر: نادي المدينة المنورة الأدبي. عام١٤٢١هـ.

-**زاد المعاد**. المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. الطبعة: السابعة والعشرون , ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

-**طرح التثريب في شرح التقريب** . المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ). الناشر: الطبعة المصرية القديمة.

-**عمدة الأخبار في مدينة المختار**. المؤلف: أحمد بن عبد الحميد العباسي المتوفي في القرن العاشر الهجري. تصحيح: محمد الطيّب الأنصاري وحمد الجاسم. توزيع المكتبة العلميّة– المدينة المنورّة.

-**فتح الباري** . المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

-**لسان العرب**. المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ).الناشر: دار صادر – بيروت. الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

-**مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم**. المؤلف: د. عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس. رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م). الطبعة الثانية ١٤١٢هـ (١٩٩٢م).

-**معالم المدينة بين العمارة والتاريخ**. المؤلف: عبد العزيز بن عبد الرحمن الكعكي. الناشر: دار إحياء التراث العربي. بيروت- لبنان. الطبعة الأولى. عام ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

-**معجم البلدان**. المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ). الناشر: دار صادر، بيروت. الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.

-**معجم المعالم الجغرافيّة في السّيرة النّبويّة**. المؤلف: عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (المتوفى: ١٤٣١هـ). الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة. الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

-**وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**. المؤلف: علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي (المتوفى: ٩١١هـ). الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.

فهرس الموضوعات

مقدمة عامة.....٣

التسمية واشتقاقها.....٥

عدد الثنايا في المدينة المنورة.....٧

أقوال العلماء والمؤرخين في موقع ثنية الوداع.....٨

القول الأول.....٨

القول الثاني.....٨

القول الثالث.....٩

القول الرابع.....١٢

القول الخامس.....١٤

منهج العلماء في التعامل مع رواية: (طلع البدر علينا...).....١٧

وصف الثنية.....٢٢

الخاتمة.....٢٤

فهرس المصادر والمراجع.....٢٦

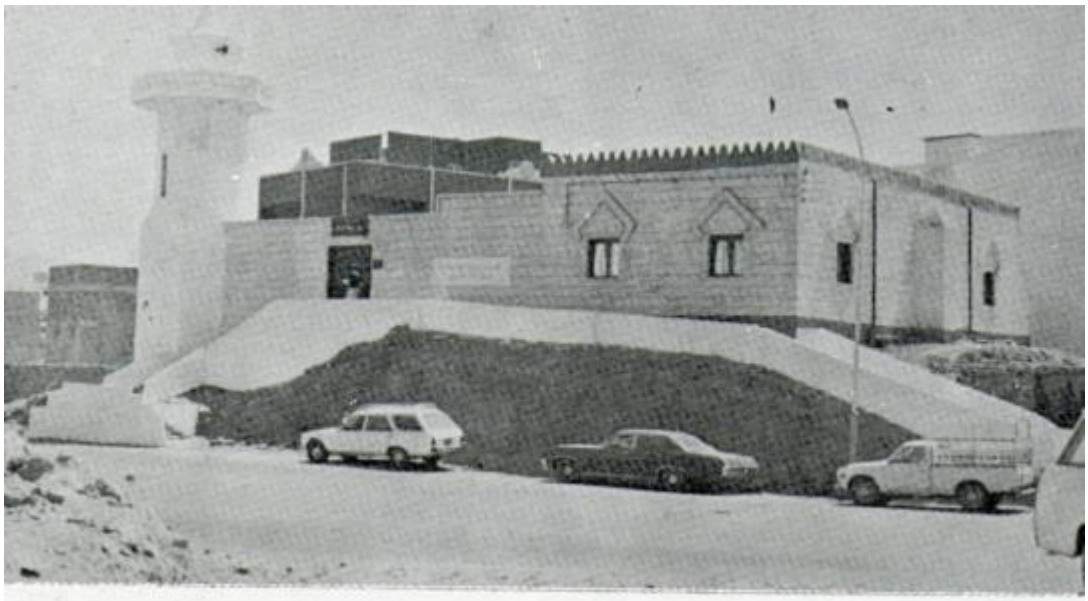

(١١٦) مسجد ثنية الوداع : منظر عام ـ عمارة عام ١٣٨٣ هـ /١٩٦٣ م .